(٢٠)

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تعالى فى أول سورة الإنسان :

* ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ١ - ٣].

* تبدأ السورة بسؤال موجه من الله ـ تعالى ـ إلى جنس الإنسان .. هل أتى على الإنسان وقت من الزمان لم يكن موجوداً، ولم يكن له ذكر بين مخلوقات الله ؟ .. ولأن إجابة السؤال من البديهيات حيث لا ينكر أى إنسان أنه أتى على جنس الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكوراً شأنه فى ذلك كشأن كل مخلوق .. لأن المخلوق حادث من الحوادث .. وقبل أن يحدث ـ أى يُخلق ـ لم يكن له وجود.

* وإذا كانت إجابة السؤال من البديهيات .. فما مغزى السؤال ؟!

المغزى هو أن يثير هذا السؤال بدوره أسئلة أخرى .. فإذا كان قد أتى على الإنسان وقت من الزمان لم يكن موجوداً .. فلابد من واجد أوجده، وخالق قد خلقه من عدم، وصانع قد صنعه على غير مثال سابق .. لأن الصنعة تدل على الصانع أو كما قالت الأعرابية بفطرتها .. أن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير.

* وبخلق الإنسان فقد احتواه ظرف الزمان وظرف المكان. إذاً قبل خلقه كان الزمان وكان المكان. فمن خلق الزمان والمكان ؟

وإذا كان لزمان خلقه بداية فلابد أن تكون له نهاية.

وهل سبق خلقه مخلوقات؟ وهل تلا خلقه مخلوقات؟

إذاً فالخالق لابد أن يكون الأول ليس قبله شيء، ولابد أن يكون الآخر ليس بعده شيء. وإذا كان قد خُلق من عدم وعلى غير مثال سابق فإن إعادته إلى ما كان عليه أيسر من خلقه من عدم، ومن قدر على النشأة الأولى فهو أقدر على النشأة الأخرى (البعث).

ولماذا كان خلقُه ؟

إنه يرى أن كل المخلوقات من حوله لها دور وخُلقت لسبب .. السماوات والأرض، الهواء والماء، الشمس والقمر، البحار والأنهار، الحيوان والنبات والجماد، الطيور فى الهواء والأسماك فى الماء .. وهكذا ..

كل ذلك خُلق لسبب وبالتالى فهو أيضًا لابد أن يكون قد خلق لسبب وهو الأعلى والأكرم والأرقى بين المخلوقات .. فما هو هذا السبب ؟

* كل ما سبق وأكثر منه يثيره هذا السؤال الذى تُفتتح به سورة الإنسان، وبالتالى فإن السؤال يكون على حقيقته وليس كما جاء فى بعض التفاسير أن «هل» بمعنى «قد» .. وما أثاره هذا السؤال يمهد لما يتلوه من آيات.

* تجيب الآية الثانية على أحد الأسئلة الهامة التى أثارها السؤال الوارد فى الآية الأولى وهو .. لماذا خلق الله الإنسان ؟

لقد خلق الله الإنسان للابتلاء .. أى للاختبار مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢]. فمن أحسن فله الإحسان فى الدنيا والآخرة مصداقًا للقانون الإلهى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ومن أحسن فقد قدم لنفسه الإحسان مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ... ﴾ [الإسراء: ٧]. ومن أساء فلنفسه الإساءة فى الدنيا والآخرة ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ... ﴾. وبصيغة أخرى تتأكد هذه السنن والقوانين الإلهية فى قوله تعالى: ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء: ١٥]. لأن من أحسن فقد اهتدى ومن اهتدى فقد أحسن، ومن أساء فقد ضل ومن ضل فقد أساء.

* وهكذا يتأكد فى كل موضوع من القرآن الكريم أن الله لم يخلق الإنسان سدى، وما كان خلقه عبثًا أو لهوًا أو لعبًا، وما ينبغى أن يكون فقد تعالى الله عن كل

ذلك علواً كبيراً. ونظم الآية الثانية من سورة الإنسان يؤكد هذه الحقيقة فقد قُدم المسبَّب ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ عن السبب ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ أى أن الله ـ تعالى ـ قد جعله سميعاً بصيراً لكى يبتليه، فهو الكائن الحى الذى يدب على هذه الأرض والذى حمل الأمانة .. أمانة التكليف، والفاء فى ﴿ فَجَعَلْنَاهُ ﴾ هى فاء السببية أى للابتلاء وذلك للتفرقة بينه وبين باقى المخلوقات التى تسمع وترى مثله مثل الحيوانات والحشرات والزواحف والطيور والأسماك .. إنها تسمع وترى ولكن ليس لنفس السبب الذى من أجله جُعل الإنسان سميعاً بصيراً.

* لقد خلق الله الإنسان ولم يتركه هملاً ولكن دله على السبيل والصراط المستقيم وذلل له الأرض من تحته وأقام له سبع سماوات من فوقه، وجعل له ما بينهما وما تحت الثرى مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩]. فهل يشكر الإنسان نعمة الله أم يكفرها؟ هل يُقر بها أم يجحدها؟ هل ينسبها إلى المنعم الذى أنعم بها أم ينسبها لنفسه ولعلمه وقدرته وذكائه؟

* هذا هو الابتلاء، وهذا هو الاختبار ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ فإن شكر ونسب النعمة للمنعم فقد اجتاز الاختبار بنجاح، وإن كفر ونسب النعمة لنفسه فقد رسب فى الاختبار .. وفيما يلى نموذجان للشكر والكفر، أى للنجاح والرسوب :

النموذج الأول للشكر والنجاح :

وهو نموذج سليمان عليه السلام عندما سمع النملة تتكلم فقال: ﴿ ... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩]. وعندما جاءه الذى أوتى علم من الكتاب بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه .. فماذا قال؟ ﴿ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

النموذج الثانى للكفر والرسوب :

وهو نموذج قارون الذى آتاه الله ـ تعالى ـ من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة .. فماذا قال؟ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨]. فماذا حدث بعد ذلك؟ يقول تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

أين هذا الخسف لمن كفر بنعمة الله، مما أعطاه الله ـ تعالى ـ لسليمان عليه السلام جزاء شكره لنعمة الله؟ .. فقد طلب من الله أن يعطيه ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده فأجابه الله ـ تعالى ـ لطلبه واستمع لقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٣٥ - ٤٠].

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. هذا وعد من الله ـ تعالى ـ بالزيادة على الشكر، ووعيد بالعذاب الشديد على الكفر .. إنه لا يخلف الميعاد.

(٢١)

لقد خلقنا الإنسان في كبد

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تعالى فى أول سورة البلد :

* ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ١ - ٤].

أقسم الله بالبلد .. وهى مكة، ثم ثنى القسم بالرسول عليه الصلاة والسلام الذى حل وسكن فى هذا البلد، ثم ثلّث بوالد وما ولد .. حيث قيل أنه قسم بإبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام اللذان بنيا الكعبة فى هذا البلد وأقاما القواعد من البيت .. وقيل غير ذلك.

والقسم ليس هو موضوعنا فى هذا المقام، ولكن موضوعنا هو المقسوم عليه أو جواب القسم وهو قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ .. ولقد أوردنا المقسوم به لبيان أن أهمية المقسوم عليه مستمدة من المقسوم به .. وهى أهمية عظيمة الشأن كما هو واضح من القسم.

والكبد .. هو التعب والمشقة .. وأول هذا الكبد .. هو تكبد نطفة الإنسان فى شكل علقة أى قطعة من الدم تكبدت مثل الكبد ـ وهو دم متجمد ـ وتعلقت فى جدار الرحم ثم تطورت فى أطوار خلقها إلى مضغة ثم إلى عظام ثم كسوة العظام لحماً حتى إذا اكتملت فترة الحمل خرج الجنين من رحم أمه طفلاً كامل الخلق.

وقد وصف الله كل هذه الأطوار وما تكابده الأم خلالها فى قوله تعالى :

* ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥].

* ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ... ﴾ [لقمان: ١٤].

ومن طرائف الشعر .. أن المولود وكأنه يرى بعين الغيب فى يوم مولده ما هو مقبل عليه من آلام ومكابدات فى مستقبل حياته .. فيقول ابن الرومى :

لِمَا تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولدُ
وإلا فما يبكيه منها وإنها لأرحب مما كان فيه وأرغدُ

والطفل يكابد بعد ذلك آلام الجوع حتى يلتقم ثدى أمه، وآلام تبوله وتغوطه اللاإرادى فى لفائفه، وآلام خروج الأسنان والأضراس، ثم يكابد بعد ذلك مراحل استقامة عوده ودبيبه على الأرض وهى تبدأ بالجلوس ثم الحبو ثم المشى بعد التعثر، وتنتهى مكابدات الطفولة بالفطام .. وحرمانه من ثدى أمه الذى لازمه حولين كاملين.

وتبدأ بعد ذلك مكابدات الصبا من تعليم وتأديب، ثم مكابدات المراهقة وما أدراك ما المراهقة ـ وما فيها من مكابدات جسمية ونفسية وعاطفية ـ.

وبعد ذلك تبدأ مكابدات الشباب والرجولة والكهولة والشيخوخة حيث أرذل العمر وما فى هذه المراحل من مكابدات تحصيل العلم والمعرفة والصنائع المختلفة، وتحصيل لقمة العيش قليلها وكثيرها، وكذلك مكابدات تقلب الأحوال فيكابد الفقر والغنى، والمرض والصحة، والضراء والسراء، والشر والخير، والشدة والرخاء، والمعصية والطاعة .. وغيرها من المكابدات حتى يستوفى أجله فيكابد سكرات الموت وسؤال الملكين وضغطة القبر ووحشته حتى يكون له بعد ذلك إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

فإذا انتهت حياته البرزخية بُعث من قبره ليكابد الحشر والعرض والحساب .. ثم بعد ذلك ليس له من دار .. إلا الجنة أو النار. فإن كانت الجنة فبها ونعمت حيث الراحة الحقيقية والراحة الأبدية حيث وصفها الله على لسان المنعمين فيها فى قوله تعالى :

* ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾.

[فاطر: ٣٤، ٣٥].

ونسأل الله أن نكون منهم.

وإن كانت النار فبئس القرار حيث وُصِفَتْ ألوان العذاب فيها فى كثير من سور

القرآن الكريم .. ومن أبشع هذه الأوصاف قوله تعالى :

* ﴿ ... فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾.

[الحج: ١٩ - ٢٢].

ونسأل الله أن يعيذنا من النار.

أرأيت كيف خُلق الإنسان فى كبد منذ أن وُضِعَتْ نطفته حتى لقى ربه .. ولا راحة له منذ خلقه إلا فى الجنة حيث النعيم بلا تعب وخير معين له على هذا التعب قوله تعالى :

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.

[البقرة: ١٥٣].

لذلك كان التقى هو السعيد .. لأنه صبر على كبد الدنيا أملاً فى راحة الآخرة. وهكذا الإنسان .. يتحمل التعب إن كان بعده راحة .. والدليل على ذلك يوم الدنيا .. الذى يبدأ بالتعب فى تحصيل لقمة العيش .. فيخرج الإنسان من بيته ليتعب ويتحمل هذا التعب لأنه سوف يعود بعد ذلك إلى بيته ليرتاح .. فإذا افتقد الراحة داخل بيته لم يتحمل التعب خارجه .. وهكذا شأن التعساء من الكفرة والفسقة والعصاة لأنهم ينتقلون من تعب الدنيا إلى تعب أشد وأخزى فى الآخرة، وعذاب أليم ومهين فى النار.

وقد صور الله حال هؤلاء وهؤلاء فى قوله تعالى :

* ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

فهل تحتمل أيها الإنسان تعب الدنيا الفانية فى سبيل راحة الآخرة الباقية؟

وهل تستعين فى رحلة حياتك الدنيا بالصبر والصلاة؟

وهل تلبس فى الدنيا لباس التقوى وتتزود بزاد التقوى .. لتنال سعادة الدارين؟

اللهم إنا ندعوك بكلامك ونكثر فى الدعاء كما كان يفعل خاتم أنبيائك ورسلك عليه الصلاة والسلام ونقول: «ربنا آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

آمين.

obeikandl.com

(٢٢)

البركة في القرآن الكريم

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تعالى فى سورة الأعراف :

* ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

هذه الآية تبدأ بوعد مشروط من الله عز وجل لأهل القرى فى كل زمان ومكان أنهم لو آمنوا واتقوا لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، وتنتهى بخبر من الله تعالى أنهم كذبوا فأخذهم بما فعلوا .. فبدلاً من التصديق .. كذبوا، وبدلاً من الإيمان .. كفروا، وبدلاً من التقوى .. فسقوا وفجروا .. فأخذهم الله بكل ذلك ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾.

[هود: ١٠٢].

ولكن ما هى البركة؟ وكيف جاء ذكرها فى القرآن الكريم ؟

وما هى الأشياء التى وُصفت بالبركة فى القرآن الكريم؟ وما الذى يعنيه هذا الوصف؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة .. نبدأ بمعنى البركة فى اللغة فهى تعنى: ثبات الخير واستمراره ونمائه. لذلك قيل برك الجمل: أى لبث وسكن. وقيل: البِرْكة للماء الساكن فإذا طبقنا المعنى اللغوى على المعنى الاصطلاحى فسوف نجد أنهما متطابقان إلى حد كبير. فالبركة هى تحقق الثمرة المرجوة من سعى الإنسان فى حياته، والبركة: هى الانتفاع بالشىء على الوجه المطلوب، والبركة: هى الحفظ والنماء أو هما معًا، والبركة: أن يأتيك خير الشىء ولا يأتيك شره. فإذا ضربنا بعض الأمثلة .. فإن بركة الطعام والشراب: أن يُعطيك بعد الشبع والرى .. القوة والعافية. وبركة الأموال: أن تزداد وتنمو وينتفع بها صاحبها فى دنياه وأخراه، وهى تعنى أيضًا أن يكفيك ما عندك من مال مهما كان قليلاً، فما قل وكفى خير مما كثر وألهى. وبركة الأولاد: أن ينشأوا صالحين فى حياتك فيعاونوك وبعد مماتك فيدعون لك. وبركة العلم: أن يكون نافعاً، وبركة الوقت: أن يكفيك لإنجاز ما تريد، وأخيراً .. بركة

العمر: أن يمتد بك فى الأعمال الصالحة مصداقًا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «خير الناس من طال عمره وحَسُنَ عمله» رواه الترمذى عن عبد الله بن بُسْر الأسلمى رضي الله عنه.

ولو تتبعنا كلمة البركة فى القرآن الكريم وما اشتق منها من كلمات وما وُصف بالبركة فسوف يساعدنا ذلك على فهم معناها .. ذلك المعنى الذى قد يبدو مبهمًا للبعض، ولكنه يتضح فيما سوف نتناوله من آيات القرآن الكريم.

اولاً : الله :

* يقول تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

* ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١].

وتبارك فى آية الفرقان وصف لله تبارك وتعالى يعنى: عظمت بركته وكثر خيره وفضله، وهى كلمة تعنى: الثناء على الله عز وجل بما هو أهله، ويعلمنا الله ـ تعالى ـ كيف نثنى عليه فهى كلمة هو قائلها .. وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام حين قال داعيًا: «لا أحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» وأسباب الثناء على الله تعالى لا تحصى ولا تعد مثل نعمه ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨]. والثناء على الله تعالى فى آية الفرقان يشير إلى أعظم نعم الله ـ تعالى ـ على الإنسان بصفة عامة وعلى خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام بصفة خاصة .. وهى نعمة القرآن الكريم الذى نزّله على رسوله الخاتم ليكون للعالمين نذيراً. والآية الثانية من سورة الفرقان وهى قوله تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ تقودنا إلى الآية الأولى من سورة الملك، وقد أسلفنا بعاليه الآية الأولى من سورة الملك .. وكلتا الآيتين تشيران إلى أسباب أخرى من أسباب الثناء على الله تبارك وتعالى .. وهو أن بيده الملك، وهو خالق السماوات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له

شريك فى الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، وهو على كل شيء قدير .. وهى صفات تجمع بين الألوهية والحاكمية والربوبية.

ثانيًا : الرسل :

* يقول تعالى: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨].

* ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١].

* ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١٠٩ - ١١٣].

فى هذه الآيات وصف نوح، وعيسى، وإبراهيم، وإسحاق عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليمات .. بالبركة. ومن أعظم بركة من الأنبياء والرسل؟ .. إن أعظم الناس بركة هو كثير الخير الذى ينتفع بخيره لنفسه، ويتعدى خيره للآخرين. وهذا هو موقف الأنبياء والرسل فهم ينتفعون لأنفسهم بالنبوة والرسالة، ويتعدى نفعهم وخيرهم للآلاف والملايين غيرهم. فما رسالتهم إلا بالناس وللناس. وإذا كان كل رسول أرسل لقومه خاصة فإن أعظمهم بركة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام الذى قال تعالى عنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨] .. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال هو عن نفسه: «وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ثالثًا : الكتاب (القرآن) :

يقول تعالى :

* ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

[الأنعام: ١٥٥].

* ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾.

[ص: ٢٩].

وإذا كان الرسل أعظم الناس بركة لتعدى خيرهم إلى الآلاف والملايين غيرهم، فما هذه البركة وهذا الخير إلا فيما أرسل إليهم من رسالات كلفوا من الله تعالى بتبليغها للناس مثل صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، وأخيراً القرآن الكريم الذى نزل على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .. عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه. وقد وُصِفَ القرآن الكريم فى الآيتين عاليه بأنه ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ .. أى كثير الخير والنفع لدنيا الناس وأخراهم. وخير وصف لبركة القرآن وخيره ما أخرجه الدارمى والترمذى من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون فتن كقطع الليل المظلم. قلت: يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هوحبل الله المتين ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب منه الآراء، ولا تشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد. من علِم علْمَه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم». حقًا .. ما أعظم بركة القرآن الكريم.

رابعًا : الليلة التى نزل فيها القرآن :

يقول تعالى :

* ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان: ٣].

ويكفى للدلالة على بركة هذه الليلة وخيرها العميم .. قوله تعالى :

* ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ

مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ - ٥].

فليس هناك ليلة أعظم بركة من ليلة نزل فيها القرآن وأوحى فيها إلى خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، ولا زالت هذه البركة تتجدد كل عام.

خامسًا : بيت الله الحرام :

يقول تعالى :

* ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾.

[آل عمران: ٩٦].

ويكفى للدلالة على بركة بيت الله الحرام أنه منسوب لله تعالى وأنه أول بيت وضع للناس، وأن من رفع قواعده هو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وأن فيه آيات بينات ومن دخله كان آمنًا، وفيه تؤدى بعض مناسك الحج مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. [آل عمران: ٩٧].

وأنه شهد طواف الأنبياء والصالحين حوله وعلى رأسهم الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن الركعة فيه بمائة ألف ركعة، وأن فى جداره الحجر الأسود الذى قبّله الرسول وأمرنا بتقبيله، وأن فى ساحته ذلك البئر المبارك .. بئر زمزم..ونكتفى بهذا القدر من ألوان بركة بيت الله الحرام الذى تهفو إليه القلوب مصداقًا لدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾. [إبراهيم: ٣٧].

سادسًا : المسجد الأقصى :

يقول تعالى :

* ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

وبركة المسجد الأقصى أنه أول القبلتين وثالث الحرمين، وشهد مسرى رسول الله ﷺ وصلاته بالأنبياء والرسل إمامًا، وعروجه إلى سدرة المنتهى، ثم عودته بعد أن رأى من آيات ربه الكبرى ومعه هدية عظيمة من الله تعالى وهى الصلاة .. الركن الهام من أركان الإسلام الخمسة، وقد بارك الله فى المسجد الأقصى وبارك ما حوله، لأن ما حوله شهد مبعث كثير من الأنبياء والرسل، كما أنها أرض خصبة تجود فيها الزراعة وتكثر فيها الثمار والأرزاق.

سابعًا : الماء :

يقول تعالى :

* ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩].

وبركة الماء ومنافعه وما يجلبه من خير لا تخفى على أحد .. فالماء أصل الحياة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ . . . ﴾ [النحل: ٦٥]. وحيث يوجد الماء توجد الحياة وحيث ينعدم الماء تنعدم الحياة وينتشر الجدب والبوار.

ثامنًا : الأرض (الأرض بصفة عامة أو أرضًا معينة) :

يقول تعالى :

* ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا

فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ٩، ١٠].

* ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

[الأنبياء: ٦٩ - ٧١].

* ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

وبركة الأرض بصفة عامة أنها أُمنا التى خلقنا فيها وندب عليها ثم نعود إليها بالموت ونخرج منها بالبعث مصداقًا لقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. وبركات الأرض وخيراتها ومنافعها مذكورة فى كثير من آيات القرآن الكريم .. نذكر منها قوله تعالى:

* ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

[الأعراف: ١٠].

* ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾. [الرعد: ٤].

* ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٣، ٥٤].

* ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١].

* ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٧].

أما الأرض المعينة المذكورة فى آيات سورة الأنبياء .. فقد سبق الإشارة إليها عند ذكر المسجد الأقصى .. فهى الأرض التى حوله حيث إنها كانت مبعثًا لكثير من الأنبياء والرسل، كما أنها أرض خصبة تجود فيها الزراعة وتكثر فيها الثمار والأرزاق.

تاسعًا : الشجرة :

يقول تعالى :

*﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾. [النور: ٣٥].

والشجرة المباركة هى شجرة الزيتون، وشجرة الزيتون لها كثير من المنافع لا ينازعها فيها سوى النخلة، فمن هذه الشجرة تخرج ثمرة الزيتون، وأهم ما فى هذه الثمرة زيتها الذى يستخدم كإدام فى الأكل ويطيب للناس استخدامه كطعام وغير ذلك من الاستخدامات ويشيع بين الناس تسميته بـ «الزيت الطيب». كما أن ثمرته تؤكل بعد تخليلها سواء كانت خضراء أم سوداء. وشجرة الزيتون معمرة، وتتحمل الأجواء القاسية، وتحصل على ما تحتاجه من ماء من باطن الأرض عن طريق جذورها الممتدة، ويصنع من أخشابها إذا قطعت أجود أنواع الأثاث. وقد ذكرت شجرة الزيتون فى مواضع أخرى من القرآن الكريم .. وذلك فى معرض تعداد نعم الله على الإنسان ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. فهى شجرة مباركة تنبت فى أرض مباركة. وكذلك أقسم بها الله تعالى فى قوله: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [التين: ١ - ٣]. فأقسم الله بها مع التين إلى جانب جبل الطور المقدس، ومكة البلد الحرام .. وهذا الجمع فى القسم يوحى بأهمية وبركة وخير هذه الشجرة.

عاشرًا : السلام (التحية) :

يقول تعالى :

* ﴿ .. فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ

مُبَارَكَةً طَيِّبَةً .. ﴾ [النور: ٦١].

تحية الإسلام هى السلام، وهذه التحية سنة على من يلقيها، ورد السلام أو التحية فرض على من ألقيت عليه كما قال الفقهاء مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦]. والموضوع له تفصيلات فى كتب الفقه يمكن الرجوع إليها. وبركة تحية السلام يشعر بها من يتبادلها .. فإنها تنزل سلاماً على نفس طرفيها وهى مفتاح كل خير عند المتعاملين وبداية طيبة يبدأ بها أى اتصال إنسانى.

والسلام أمانة فى عنق كل من يُطلب إليه توصيله إلى الغير توثيقًا للروابط بين الحاضر والغائب.

والسلام تحية أهل الجنة ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [يونس: ١٠]، وتحية الملائكة لأهل الجنة ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

وبركة السلام أنها من عند الله ـ ومن أسمائه السلام ـ كما جاء فى نص الآية، والله تبارك وتعالى هو الذى علمها لنا وأول من تلقاها الرسول عليه الصلاة والسلام فى سدرة المنتهى، وقامت عليها صيغة التشهد فى الصلاة، وهى تسمى أيضًا «التحيات» .. ووصفت التحيات بالمباركات فى صيغة التشهد عند الشافعية «التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ...».

والخلاصة .. فإن بركة تحية السلام فى أنها من عند الله مباركة طيبة، وفى معناها عند ملقيها وفى تأثيرها عند متلقيها، وما تشيعه من جو السلام بين الأفراد والجماعات وفى المجتمع المسلم بصفة عامة، لذلك أمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بإفشاء السلام فى كثير من الأحاديث منها الحديث الذى يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على

شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم. ما أعظم بركة هذا التوجيه النبوى الذى يضمن لنا التحابب فى الدنيا والجنة فى الآخرة .. هل بكثير عمل؟ .. إنه فقط بإفشاء السلام بيننا، وتحية السلام بعد ذلك لها عملها ولها بركتها .. فما ظنك فى الحياة بين المتحابين؟ .. إنها لحياة طيبة وسعيدة تقودنا بعد ذلك إلى دار السعادة الحقيقية .. دار السلام.

هذه هى البركة فى القرآن الكريم وما اشتق منها من كلمات، وما وُصف بالبركة، واتضح لنا معناها بأنها ـ كما قلنا فى البداية ـ ثبات الخير واستمراره ونمائه. لذلك كثرت أدعية الرسول عليه الصلاة والسلام بالبركة .. ونختم هذا الموضوع ببعض هذه الأدعية المأثورة :

* من دعاء الاستخارة : «اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ودنياى ومعاشى، وعاجل أمرى وآجله، فاقدره لى، ويسره لى، ثم بارك لى فيه » رواه البخارى.

* دعاء الطعام : «اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيراً منه»، فإن كان لبناً فليقل: «اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه» رواه أبو داود والترمذى.

* من أدعية السفر عند الوصول إلى البلدة المقصودة : «اللهم بارك لنا فيها (ثلاثاً) اللهم ارزقنا جناها وحببنا إلى أهلها، وحبب صالح أهلها إلينا» رواه الطبرانى.

* الدعاء لمن تزوج من إخوانك : «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما فى خير» رواه أهل السنن الأربع وابن حبان.

* الدعاء لصاحب الشيء الذى أعجبك حتى لا تصيبه بعينك : «اللهم بارك فيه ولا تضره» رواه النسائى والحاكم فى المستدرك.

* الدعاء عند رؤية باكورة الثمار على الشجر : «اللهم بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا، وبارك لنا فى صاعنا، وبارك لنا فى مُدنا» رواه مسلم.

وهناك الكثير من الأدعية غيرها تتضمن لفظ البركة، أو يتضمن معناها البركة مثل الدعاء بأن يأتيك الله خير الشيء ويصرف عنك شره «اللهم إنى أسألك خيره وأستعيذ بك

من شره، .. ويقال هذا الدعاء قبل الدخول على الزوجة، وقبل الدخول إلى السوق، وعند ارتداء الثوب الجديد .. وغير ذلك من المناسبات.

اللهم إنا نسألك من خير ما سألك به نبيك ورسولك عليه الصلاة والسلام.

ونستعيذ بك من شر ما استعاذ به نبيك ورسولك عليه الصلاة والسلام.

obeikandl.com

obeikandl.com

(٢٣)

ويلٌ للمطففين ..

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تعالى :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ١ - ٦].

تبدأ سورة المطففين بكلمة تهديد ووعيد لصنف من الناس، الكلمة هى .. ويل، وهذا الصنف من الناس هم .. المطففون. ويعرفهم الله لنا فى الآيات التالية وهم الذين إذا كان الكيل لهم يستوفونه .. وليس فى هذا ما يعيبهم، ولكن العيب كل العيب أنهم إذا كالوا أو وزنوا لغيرهم يُخسرون .. أى يُنقصون الكيل والميزان فلا يستوفى غيرهم حقوقهم ويحصلون عليها منقوصة. وليس هذا من العدل.

ولا يختل الميزان والمكيال إلا إذا اختل قبله ميزان العدل فى نفس الإنسان، فيكون اختلال الميزان والمكيال انعكاسًا لاختلال ميزان العدل فى نفس الإنسان. ولو شاع هذا الأمر لاختلت الموازين ليس فقط فى مجال الموزونات المادية، ولكن فى كل معاملة بين طرفين من حيث الحقوق والواجبات .. ليس فقط بين البائع والمشترى، ولكن بين العبد وربه، وبين الحاكم والمحكوم، وبين العامل ورب العمل، وبين الزوج وزوجته، وبين التلميذ وأستاذه، وبين الأسرة ورب الأسرة، وبين المالك والمستأجر، وبين الرئيس والمرؤوس .. وهكذا.

ولو اضطربت المعاملات بين كل هذه الأطراف كيف تستقيم الحياة ؟

إنها لن تحلو لأحد ولن تصفو لأحد .. لأن كل الناس وازنون وموزون لهم فى نفس الوقت.

ولخطورة هذا الأمر الذى أسماه الله التطفيف .. أرسل الله رسولاً لقوم شاع بينهم هذا الأمر ـ وهو شعيب عليه السلام ـ فاضطربت أحوالهم واختلت موازينهم .. ودعاهم رسولهم إلى ما دعى إليه الرسل أقوامهم بصفة عامة وبصفة خاصة إلى :

* ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

* ﴿ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ ﴾ [هود: ٨٤].

* ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ [هود: ٨٥].

وهى دعوة لكل الناس فى كل زمان وكل مكان مصداقاً لقوله تعالى :

* ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩].

إنها دعوة لن يستجيب لها إلا من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويكفى للاستقامة عليها مجرد الظن بالبعث، فما بالك بمن أيقن بالبعث؟ .. إنه أشد استقامة عليها.

والارتباط وثيق بين الإيمان بالله واليوم الآخر وتوفية الكيل والميزان .. وبالتالى ينبغى على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر ألا يقع فى هذا المحظور لأنه يجرح إيمانه وعدالته، ولرسول الله ﷺ حديث من جوامع الكلم من اهتدى بهديه اعتدل ميزانه فى كل الأمور ولم يقع فى هذا المحظور ولم يطفف فى الكيل والميزان ولا فى غيرها من المعاملات وهو قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رواه البخارى ومسلم.

فكما تحب أن تستوفى إذا كنت موزوناً لك، فأوف إذا كنت وازناً لغيرك .. لأنه يحب ذلك لنفسه مثلك.

ولبيان خطورة هذه المخالفة نرجع إلى كتاب الله ـ تعالى ـ لحصر الأصناف من الناس الذين توعدهم الله .. بالويل :

١ ـ الذين يكتبون الكتاب بأيديهم :

أى الذين يحرفون الكتب التى أنزلت على أنبيائهم من اليهود والنصارى .. مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا

بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

٢ ـ الكافرون :

مصداقاً لقوله تعالى :

* ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢].

* ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

* ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

* ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠].

٣ ـ القاسية قلوبهم :

مصداقاً لقوله تعالى :

* ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾ [الزمر: ٢٢].

٤ ـ الظالمون :

مصداقاً لقوله تعالى :

* ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥].

٥ ـ المشركون :

مصداقاً لقوله تعالى :

* ﴿ ... فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

٦ ـ الأفّاك الأثيم :

أى كثير الإفك (الكذب) والإثم .. مصداقاً لقوله تعالى :

* ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧].

٧ ـ المكذبون :

أى المكذبون بيوم الدين كما جاء فى الآية (١٠) من سورة المطففين وكما جاء فى عشرة آيات من سورة المرسلات.

٨ ـ الهمازون اللمازون :

أى الذين يذكرون معايب الناس بالقول أو بالإشارة، أو بهما معًا .. مصداقًا لقوله تعالى :

* ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١].

٩ ـ الساهون عن صلاتهم :

أى الساهون عن مواقيتها أو الساهون عن معناها وما تحض عليه .. مصداقًا لقوله تعالى :

* ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

١٠ ـ وأخيرًا .. المطففون :

مصداقًا لقوله تعالى :

* ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١].

من هذا الحصر يتبين لنا خطورة هذه المخالفة التى إذا ارتكبها أحدٌ من المسلمين كانت مطعناً فى إيمانه وأصبح هدفًا لنفس التهديد والوعيد الموجه لهذه الأصناف من الناس وأغلبهم من الكافرين والمكذبين والمشركين .. وأصبح فى خطر عظيم مع الذين هم عن صلاتهم ساهون ومع كل همزة لمزة . ونسأل الله السلامة .

obeikandl.com

(٢٤)

الافتداء، والفرار من أهوال يوم القيامة

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تعالى فى سورة المعارج :

* ﴿ ... يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ ... ﴾.

[المعارج: ١١ ـ ١٥].

ويقول تعالى فى سورة عبس :

* ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٣ - ٣٧].

قد يبدو لقارئ هذه الآيات لأول وهلة أنها متطابقة أو على الأقل متشابهة، ولكن إذا أمعن فى القراءة، فسوف يتبين له أن هناك فرقا كبيراً بين حالة الافتداء فى سورة المعارج، وحالة الفرار فى سورة عبس .. وهذا ما سوف نحاول أن نتأمله ونتدبره فيما يلى :

* بعد ذكر الله ـ تعالى ـ بعض أهوال يوم القيامة فى سورة المعارج ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ [المعارج: ٨، ٩]. يذكر أثر هذه الأهوال على المجرمين الذى كذبوا بيوم الدين فيشغل كل واحد منهم بنفسه ولا يجد له صديقًا حميمًا يسأله ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ [المعارج: ١٠]. لقد كانت هذه الصداقة الحميمة فى الدنيا ولكنها تتحول فى الآخرة بالنسبة للمجرمين إلى عداوة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]. ولا يقتصر هذا التحول على الأصدقاء والأخلاء فقط بل إن كل مجرم من هؤلاء يود ـ لو استطاع ـ أن يفتدى نفسه من العذاب الذى أحاط به بمن؟!

ببنيه وهم الذين كان يفتديهم بنفسه فى الدنيا، ليس هذا فقط، بل يفتدى نفسه أيضًا بزوجته وأخيه وعشيرته التى كانت تؤويه وكان يفتديها بنفسه وماله إذا أغار عليها عدو، ليس هذا فقط فلو استطاع أن يفتدى نفسه بكل أهل الأرض لفعل.

وتأتى بعد ذلك كلمة ﴿ كَلاَّ ﴾ وهى كلمة زجر وتيئيس له من افتداء نفسه من

العذاب بأى شيء وبأى أحد ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١٥ ـ ١٨]. إن نار جهنم تلفح وجهه فيتساقط منه الجلد واللحم، وهى تدعوه إليها وبئسها من دعوة، فلا يملك إلا أن يلبى جزاءً وفاقًا لإعراضه عن دعوة الحق فى الدنيا التى دعى إليها فأدبر أى أعطى ظهره لها، وتولى عنها إلى الدعاوى الباطلة، وإلى زينة الحياة الدنيا يجمع منها ويستكثر ويكتنز فى الأوعية وكأنه مخلد فيها، وغفل عن أن ما يجمعه إما يزول عنه وإما يزول هو عنه بالموت.

* ويلاحظ أن الترتيب الوارد فى الآيات التى تشير إلى الافتداء ترتيب تنازلى من حيث القرب والقرابة. فالافتداء يبدأ بالأبناء ثم ينتقل إلى الصاحبة (الزوجة) ثم إلى الإخوة ثم إلى الأقارب والعشيرة، ثم إلى من فى الأرض جميعاً. وهذا يدل على شدة الهول والعذاب الذى أعده الله للمجرمين المكذبين بيوم الدين.

* وإذا قارنّا هذه الآيات بالآيات الأخرى الواردة فى نهاية سورة عبس والتى أشرنا إليها فى البداية .. سوف نجد الآتى :

١ ـ أن الترتيب فى آيات سورة المعارج تنازلى، والترتيب فى آيات سورة عبس تصاعدى .. من حيث درجة القرب والقرابة.

٢ ـ أن الترتيب التنازلى هو الذى يتناسب مع حالة افتداء النفس من عذاب واقع فعلاً، ويتناسب شدة قرب المُقدِّم كفدية مع شدة العذاب الذى يعانيه هذا المجرم، فإن كان قد هان على نفسه أن يقدم بنيه فداءً من العذاب فإن من دونهم أشد هواناً عليه مثل الصاحبة والإخوة ومن فى الأرض جميعاً .. ولكن هيهات أن ينجو بنفسه من هذا العذاب.

٣ ـ أن الترتيب التصاعدى هو الذى يتناسب مع حالة الفرار التى تختلف عن حالة الافتداء من العذاب. فالفرار هنا ليس من العذاب، ولكنه حالة نفسية تصيب كل أهل الموقف.

واستمع إلى هذا الحوار الذى دار بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين السيدة

عائشة رضي الله عنها عندما أخبرها أن الناس سوف يبعثون يوم القيامة «حفاةً عراةً غرلاً» ـ وغرلاً: أى غير مختونين كما ولدتهم أمهاتهم ـ فتتعجب السيدة عائشة من ذلك وينتابها مع الخوف، الحياء الفطرى للنساء، وتتساءل .. هل ينظر الرجال للنساء وتنظر النساء للرجال وهم جميعًا على هذه الحالة التى وصفها لها الرسول عليه الصلاة والسلام، فيتلو عليها صلوات الله وسلامه عليه هذه الآيات من سورة عبس حتى قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾.

٤ ـ هذا الحوار يدل على هذه الحالة النفسية التى أشرنا إليها وكأن سائلاً يسأل .. هل يفر المرء يومئذ من أخيه؟ .. فتأتيه الإجابة . نعم. يفر المرء من أخيه، ليس هذا فقط بل من أمه وأبيه، بل من صاحبته وبنيه. وكأن السائل يستمر فى تساؤله ويقول: لماذا؟ فتأتيه الإجابة: بأن لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يغنيه عن كل هؤلاء فلا يفكر أحد إلا فى نفسه وكيف ينجو بها، وهل يثبت أمام الحساب؟ وهل يجوز على الصراط؟ .. وهل يكون من أهل الجنة أو من أهل النار .. وهل .. وهل .. وهل..؟؟

* وفى الحديث الصحيح فى أمر الشفاعة أنه إذا طُلب إلى كلٍ من أولى العزم من الرسل أن يشفع عند الله فى الخلائق يقول: «**نفسى نفسى لا أسألك اليوم إلا نفسى**». حتى أن عيسى بن مريم عليه السلام يقول: «**لا أسأله اليوم إلا نفسى .. لا أسأله مريم التى ولدتنى**».

فهل أحسنّا الاستعداد لهذا اليوم ؟

obeikandl.com

(٢٥)

الوجوه .. في القرآن الكريم

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ① وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ② عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ③ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ④ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ⑤ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ⑥ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ١ - ٧].

ثم يقول تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ⑧ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ⑨ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑩ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ⑪ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑫ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ⑬ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ⑭ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ⑮ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ٨ - ١٦].

* الحديث عن القيامة لا ينقطع فى سور القرآن الكريم فهى موضوع الدين، وهى يوم الدين. والحديث فى سورة الغاشية عن القيامة التى تغشى الناس جميعاً فهى تعم، وهى تطم، فهى الغاشية، وهى الطامة الكبرى، وهى القارعة، وهى الواقعة ..

* ويلفت النظر فى سورة الغاشية أنها تتحدث عن نوعين من الوجوه يوم القيامة .. الوجوه الخاشعة، والوجوه الناعمة، وتذكر هذه بعد تلك فى النص القرآنى دون حرف العطف «الواو» .. لإظهار الفصل التام بين هذه وتلك يوم القيامة، فالبون شاسع، والفرق واسع.

أما الوجوه الخاشعة :

فهى وجوه الذين كفروا بالله واليوم الآخر، أو وجوه العصاة الذين تنكبوا الطريق إلى الله وحادوا عنه .. فهى وجوه ذليلة ترتسم عليها علامات الذعر والخوف بعد أن كشف عنها الغطاء وتحقق ما كانوا ينكرونه أو يستهينون به.

وأما الوجوه الناعمة :

فهى وجوه الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، والذين أطاعوا الله ورسله واستقاموا على أمر الله فأتمروا بأوامره وانتهوا عن نواهيه وأخلصوا العبادة لله.

لذلك سوف يقتصر موضوعنا عن الوجوه كما جاءت فى القرآن الكريم.

اولاً : الوجه أُشتق منه فعل اتجه ، يتجه ، اتجاهًا :

مصداقًا لقوله تعالى :

* ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة: ١٤٨].

* ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩].

وهى من قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :

ثانيًا : لله سبحانه وتعالى وجه ولكن ليس كمثله شيء :

مصداقًا لقوله تعالى :

* ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨].

* ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥].

* ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾.

[الرحمن: ٢٦، ٢٧].

ثالثًا : إقامة الوجه بالنسبة للإنسان تكون للدين :

مصداقًا لقوله تعالى :

* ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ... ﴾ [يونس: ١٠٥].

* ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ... ﴾ [الروم: ٣٠].

* ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ... ﴾ [الروم: ٤٣].

رابعًا : من اقام وجهه للدين فقد أسلم وجهه لله :

مصداقًا لقوله تعالى :

* ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ ... ﴾.

[البقرة: ١١٢].

obeikandl.com

* ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ... ﴾ [آل عمران: ٢٠].

* ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ... ﴾ [النساء: ١٢٥].

* ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢].

ويلاحظ فى الآيات أن إسلام الوجه شكل يلزمه الإحسان موضوعاً.

خامسًا : من أسلم وجهه لله لا يبتغى من عمله إلا وجه الله :

يلاحظ فيما يلى من آيات أن الإشارة إلى ابتغاء وجه الله فى غالبية الآيات تتجه إلى الإنفاق حتى يكون فى سبيل الله وحتى لا يُتبعه المنفق بالمن والأذى الذى يحبط العمل ويضيع الأجر.

وفيما يلى ما نستشهد به من آيات فيقول تعالى :

* ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨].

* ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

* ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

* ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩].

* ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾.

[الليل: ١٩، ٢٠].

ويكون الصبر أيضاً ابتغاء وجه الله مصداقاً لقوله تعالى :

* ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ... ﴾ [الرعد: ٢٢].

ويكون الدعاء أيضاً ابتغاء وجه الله مصداقاً لقوله تعالى :

* ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾.

[الأنعام: ٥٢].

* ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف: ٢٨].

سادسًا : بعض أحوال الوجوه فى الدنيا :

يقول تعالى عن عرب الجاهلية الذين كانوا يئدون البنات :

* ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨].

ويقول تعالى عن صنف من الناس :

* ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾. [الحج: ١١].

ويقول تعالى فى وصف الذين كفروا مقارناً بوصف الذين آمنوا :

* ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢].

ويقول تعالى عن بنى إسرائيل وإفسادهم فى الأرض مرتين وما سوف يحدث فى المرة الثانية :

* ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٧].

سابعًا : بعض أحوال الوجوه فى الآخرة :

للوجوه أحوال فى الآخرة نبدأها بالآيات التى تتضمن مقارنة بين وجوه الذين

آمنوا ووجوه الذين كفروا.

يقول تعالى :

* ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧].

* ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥].

* ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٢].

* ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١، ٢].

* ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ [الغاشية: ٨].

والوجوه الناعمة هى التى قال الله تعالى عنها :

* ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين: ٢٤].

ثم تركز الآيات بعد ذلك على ألوان العذاب الأليم والمهين التى تعانيها وجوه الذين كفروا يوم القيامة .. إشارة إلى ما تعانيه كل أجسادهم ونفوسهم :

* ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ... ﴾ [الكهف: ٢٩].

* ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ [الملك: ٢٧].

* ﴿ ... آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ... ﴾ [النساء: ٤٧].

* ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ... ﴾ [الأنفال: ٥٠].

* ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧].

* ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

* ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

* ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ [الفرقان: ٣٤].

* ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ [النمل: ٩٠].

* ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

* ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٨].

* ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا ﴾ [الإسراء: ٩٧].

* ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠].

ويجمع الله كل الوجوه في قوله تعالى :

* ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ... ﴾ ثم يخص بالخيبة: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١].

ثامنًا : القبلة .. رمز للتوجه والكعبة تجسيم للتوجه الصحيح :

مصداقًا لقوله تعالى :

* ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

* ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٥٠].

* ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ... ﴾ [المائدة: ٩٧].

تاسعًا : إذا كان التوجه إلى القبلة هو الشكل فإن العمل الصالح هو الموضوع :

مصداقًا لقوله تعالى :

* ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

عاشرًا واخيرًا :

بعد هذا الاستعراض للوجوه وكيف تناولها القرآن الكريم، فيجب أن يعلم الإنسان أن وجهه هو أشرف ما فيه، وأنه أكرم المخلوقات، وعليه أن يحافظ على هذا الشرف وهذه الكرامة، وأن يحسن التوجه، وأن يولى وجهه إلى ما أمره الله وأن يصرفه عما نهاه، ومن سَلِمَ وجهه فقد سَلِم كله لأنه مجمع الحواس، ومستودع العقل. وسلامة الوجه دليل على سلامة القلب، فإذا أتى الإنسان إلى الله بقلب سليم سلم من سوء العقاب ونال حسن الثواب وأُدخل الجنة .. دار السلامة والسلام .. مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

[الشعراء: ٨٨، ٨٩].

اللهم اجعلنا يوم القيامة من الذين ابيضت وجوههم، وسلمت قلوبهم.

.. آمين.